مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْأَدِلَّةُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ تَعَالَى

فَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ الْحَائِيَّةِ:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وَلَعَلَّ النَّاظِمَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَدَأَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ -صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا- قَبْلَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ بِمُنَاسَبَةِ السِّيَاقِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ بَدَأَ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِذِكْرِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ وُجُوبَ التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ بَدَأَ بِذِكْرِ أَبْيَاتٍ فِيهَا ذِكْرُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ الَّذِينَ خَالَفُوا الْحَقَّ وَبَايَنُوهُ، وَجَانَبُوا مُعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهِ.

فَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِيهَا بَيَانٌ مُوجَزٌ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَفِيهَا رَدٌّ عَلَىٰ أَصْنَافٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَهُمْ طَوَائِفُ عَدِيدَةٌ أَشَارَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَىٰ بَعْضِهِمْ، فَبَدَأَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ....

الْخِطَابُ لِصَاحِبِ السُّنَّةِ، الْمُتَمَسِّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

www.menhaj-un.com

«**قُلْ**» مُعْتَقِدًا مُؤْمِنًا بِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِ وَلَا مُتَرَدِّدٍ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ إِذَا أُطْلِقَ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ قَوْلَ الْقَلْبِ وَقَوْلَ اللِّسَانِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ أَيْ: قُولُوا ذَلِكَ بِقُلُوبِكُمْ إِيمَانًا وَاعْتِقَادًا، وَبِأَلْسِنَتِكُمْ نُطْقًا وَتَلَفُّظًا.

فَبَيَّنَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَالَ: «**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: اعْتَقِدْ بِقَلْبِكَ نَاطِقًا بِلِسَانِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَقَدْ جَاءَتِ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ١٥].

مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ: أَمَخْلُوقٌ هُوَ؟

فَقَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ فَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ؟! فَالْأَمْرُ كَلَامُهُ فَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَمْ يُفَرِّقْ. رَوَاهُ الْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»، وَالطَّبَرِيُّ فِي «السُّنَّةِ».

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

* **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ

ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ لَهُ قَدْرٌ، وَكَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ، وَلَنَفَذَ كَنَفَادِ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

* قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -نَقْلًا عَنِ **الْخَطَّابِيِّ**-: «كَانَ أَحْمَدُ يَسْتَدِلُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَسْتَعِيذُ بِمَخْلُوقٍ».

www.menhag-un.com

مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْوَاسِطِيَّةِ»: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ، الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ؛ فَقَوْلُهُ مِنْهُ بَدَأَ، أَيْ: أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ ابْتِدَاءً، وَلَمْ يَبْتَدِئْ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ إِنَّهُ بَدَأَ مِنْ جِبْرِيلَ أَوْ مِنَ اللَّوْحِ أَوْ مِنَ الْهَوَاءِ، إِنَّمَا بِدَايَتُهُ مِنَ اللهِ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ، وَبَلَّغَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَحْيًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَلَّغَهُ لِلنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «وَإِلَيْهِ يَعُودُ»، أَيْ: يَعُودُ إِلَيْهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَهُوَ صَحِيحٌ، ذَكَرَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَالْوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» فِي مُسْنَدِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقِيلَ: يَعُودُ إِلَىٰ اللهِ وَصْفًا، أَيْ: أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِهِ أَحَدٌ سِوَىٰ اللهِ، فَيَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ اللهَ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِهِ، وَقَدْ سَاقَ اللَّالَكَائِيُّ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عَنْ خَمْسِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ نَفْسًا.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: هَؤُلَاءِ خَمْسُمِئَةٍ وَخَمْسُونَ نَفْسًا أَوْ أَكْثَرُ مِنَ التَّابِعِينَ، وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّينَ، سِوَىٰ الصَّحَابَةِ الْخَيِّرِينَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ، وَمُضِيِّ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، وَفِيهِمْ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ إِمَامٍ مِمَّنْ أَخَذَ النَّاسُ بِقَوْلِهِمْ، وَتَدَيَّنُوا بِمَذَاهِبِهِمْ، وَلَوِ اشْتَغَلْتُ بِنَقْلِ قَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ لَبَلَغَتْ أَسْمَاؤُهُمْ أُلُوفًا كَثِيرَةً.

«**بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا**»: بِهَذَا الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ الْحَقِّ مِنْ كَلَامِ اللهِ ﷻ دَانُوا وَاعْتَقَدُوا وَآمَنُوا، فَهَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ الْأَتْقِيَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَأَفْصَحُوا؛ أَيْ: صَرَّحُوا بِهَذَا.

فَمِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، أَنَّهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً تَكَلَّمَ اللهُ ﷻ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَوْحَاهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَنَزَلَ بِهِ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَىٰ الْأُمَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: تَكَلَّمَ بِهِ، وَنَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: جِبْرِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ.

﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾: هَذَا خِطَابٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾: لُغَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَهِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩]: يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ [التكوير: ٢٠]: وَهُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا،

﴿مَكِينٖ﴾ [التكوير: ٢٠]: يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام، أَعْطَاهُ اللهُ قُوَّةً، وَأَعْطَاهُ اللهُ مَكَانَةً، وَقُرْبًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ [التكوير: ٢١]: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿أَمِينٖ﴾ [التكوير: ٢١]: أَمِينٍ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ عز وجل.

هَذِهِ هِيَ أَوْصَافُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَهُوَ أَمِينٌ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَزِيدُ فِيهِ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يُبَلِّغُهُ كَمَا تَحَمَّلَهُ عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ [التكوير: ٢٢]: يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير: ٢٢]: كَمَا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، نَفَىٰ عَنْهُ الْجُنُونَ.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ [التكوير: ٢٣]؛ أَيْ: رَأَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام عَلَىٰ صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ، رَآهُ فَوْقَهُ بِبَطْحَاءِ مَكَّةَ.

﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] يَعْنِي: عَنَانَ السَّمَاءِ، رَآهُ رُؤْيَةَ عِيَانٍ.

www.menhag-un.com

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؛ أَيْ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ.

فَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي مَكَّةَ، وَمَرَّةً فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ يَأْتِي إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ يَرَوْنَهُ رَجُلًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ.

فَهَذَا تَوْثِيقٌ لِسَنَدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُ تَلَقَّتْهُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ جِبْرِيلَ، عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَأَمَّا إِضَافَتُهُ إِلَىٰ الْمَلَكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

وَأَمَّا إِضَافَتُهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فَهِيَ إِضَافَةُ تَبْلِيغٍ؛ فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَجِبْرِيلُ عليه السلام كِلَاهُمَا مُتَحَمِّلٌ وَمُبَلِّغٌ لِكَلَامِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْكَلَامُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ، فَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَامُهُ، وَأَضَافَهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ، وَإِلَىٰ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ التَّبْلِيغِ فَحَسْبُ.

وَهُوَ كَلَامُ اللهِ ابْتِدَاءً، وَهُوَ كَلَامُ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ تَبْلِيغًا عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لَا يَشُكُّ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ.

مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٠٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَاللهُ تَعَالَىٰ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ.

أَمَّا الْأَشَاعِرَةُ: فَيَقُولُونَ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَنَزَلَ بِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَجِبْرِيلُ لَمْ يَأْخُذْهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ اللهِ ﷻ، نَعَمْ، هُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]؛ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ بِلَا شَكٍّ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ اللَّوْحِ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةُ هَذَا؛ لِأَنَّ هَذَا مَذْكُورٌ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمُ الْعُلَمَاءُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَمِنْهَا جَوَابُ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي فَتْوَاهُ الَّتِي سَمَّاهَا: «الْجَوَابُ الْوَاضِحُ الْمُسْتَقِيمُ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، رَدَّ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ وَأَبْطَلَهُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ

وَسِيلَةٌ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ، فَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ.

وَاللهُ جَلَّوَعَلَا مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ كَمَا أَنَّهُ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُدَبِّرُ وَيَشَاءُ وَيُرِيدُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَىٰ شَاءَ، بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَكَلَامُ رَبِّنَا قَدِيمُ النَّوْعِ حَادِثُ الْآحَادِ.

كَلَامُ اللهِ جَلَّوَعَلَا قَدِيمُ النَّوْعِ، حَادِثُ الْآحَادِ؛ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ وَقْتَ نُزُولِهِ، وَيُكَلِّمُ جِبْرِيلَ، وَكَلَّمَ مُوسَىٰ، وَكَلَّمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَلَّمَ آدَمَ عليه السلام، وَيَتَكَلَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُحَاسِبُ النَّاسَ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَدِيمِ النَّوْعِ لَا بِدَايَةَ لَهُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، حَادِثِ الْآحَادِ.

وَسَائِرُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّهَا كَلَامُ اللهِ ﷻ، وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُهَا، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مُهَيْمِنًا عَلَيْهَا، فَهُوَ كَلَامُهُ جَلَّوَعَلَا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، مُنَزَّلٌ مِنْهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيُصَرِّحُونَ بِهِ.

وَالْمُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَكٌّ فِي هَذَا الْمُعْتَقَدِ، وَإِنَّمَا لَمَّا ظَهَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، وَقَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ، رَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَبَيَّنُوا أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ

لَا يَكُونُ إِلَهًا، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مُحْتَجًّا عَلَىٰ أَبِيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، فَالَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ جَمَادٌ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]. لَا يُكَلِّمُهُمْ؛ لِأَنَّهُ جَمَادٌ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ [طه: ٨٨-٨٩]؛ أَيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَ«أَنْ» هَذِهِ لَيْسَتِ الْمَصْدَرِيَّةَ، بَلْ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالْأَصْلُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ، وَلِذَلِكَ قَالُوا الْفِعْلَ مَرْفُوعًا بَعْدَهَا، وَعَلَيْهِ فَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا لَا يَتَكَلَّمُ.

وَالْحَاصِلُ:

أَنَّ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ لَا يَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ نَاقِصٌ، كَيْفَ يَأْمُرُ؟! وَكَيْفَ يَنْهَىٰ؟! وَكَيْفَ يُدَبِّرُ؟! وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ هَذَا تَعْجِيزٌ لِلَّهِ ﷻ، وَاللهُ جَلَّوَعَلَا يَقُولُ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان: ٢٧]. فَكَلِمَاتُ اللهِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا، وَيَنْهَىٰ وَيُدَبِّرُ دَائِمًا وَأَبَدًا لَا تُحْصَىٰ، وَلَا تَكْتُبُهَا الْبِحَارُ، وَلَا أَقْلَامُ الدُّنْيَا جَمِيعًا.

وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقٌ، فَهَذَا فِيهِ وَصْفُ اللهِ بِالْعَجْزِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَىٰ، وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللهِ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْ أُصُولِ الْأَدِلَّةِ؛ فَإِذَا كَانَ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ؟!

هَذِهِ دَسِيسَةٌ يَهُودِيَّةٌ؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ مَأْخُوذٌ عَنِ الْيَهُودِ، كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ الْحَمَوِيَّةِ» أَنَّهُ مَأْخُوذٌ عَنِ الْيَهُودِ، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ عَلَىٰ الْيَهُودِ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ- الَّذِينَ حَرَّفُوا كَلَامَ اللهِ وَبَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ! فَهَذِهِ دَسِيسَةٌ مِنَ الْيَهُودِ؛ لِيُبْطِلُوا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا مَذْهَبٌ خَبِيثٌ، لِهَذَا انْبَرَىٰ الْأَئِمَّةُ إِلَىٰ رَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ زَيْفٌ مَدْسُوسٌ.

أَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ لَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ هَذَا الِاهْتِمَامِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُتَحَذْلِقِينَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُعَاصِرِينَ، وَمِمَّنْ يَتَسَمَّىٰ بِالْعِلْمِ، فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَهْوِينٌ مِنْ شَأْنِ مَسْأَلَةٍ خَطِيرَةٍ لَا يَنْبَغِي التَّسَاهُلُ فِيهَا، فَلَيْسَ هِيَ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَهَذَا الْكَلَامُ تَسْفِيهٌ لِلْأَئِمَّةِ الَّذِينَ اهْتَمُّوا بِرَدِّهَا، وَعُذِّبَ مَنْ عُذِّبَ بِسَبَبِهَا كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي رَدِّهَا، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَقُولُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَافِهَةٌ، وَلَا تَتَحَمَّلُ كُلَّ هَذَا!!

فَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا لَا يَدْرِي شَيْئًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَجَاهِلًا مُبْطِلًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُرَدَّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: النَّاسُ أَحْرَارٌ، لَا تُحَجِّرُوا عَلَيْهِمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ، وَحُرِّيَّةَ

الْكَلِمَةِ، وَحُرِّيَّةَ الرَّأْيِ! يَعْنِي: لَا تَرُدُّوا الْبَاطِلَ، وَلَا تُبَيِّنُوا الْحَقَّ، كُلٌّ لَهُ كَلَامُهُ، وَكُلٌّ لَهُ قَوْلُهُ، فَعَلَىٰ هَذَا تَكُونُ الدُّنْيَا فَوْضَىٰ!

فَيَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لِهَذِهِ الدَّسَائِسِ، وَهَذِهِ الشُّرُورِ الَّتِي تُحَاكُ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَهُ أَنَّ مَسْأَلَةَ خَلْقِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا كَانَتْ لَافِتَةً لِمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمُعْتَقَدِ الْخَبِيثِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا، فَالْمَسْأَلَةُ لَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَإِنَّمَا نَفَوْا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَلَكِنَّ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ وَانْتَشَرَ وَفَشَا، وَعُذِّبَ فِيهِ مَنْ عُذِّبَ، وَضُرِبَ فِيهِ مَنْ ضُرِبَ، وَسُجِنَ فِيهِ مَنْ سُجِنَ، وَقُتِلَ فِيهِ مَنْ قُتِلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ لَافِتَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ مَا وَرَاءَهَا مِنْ هَذَا الْمُعْتَقَدِ الْخَبِيثِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**»: هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ.

«**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: الْمَلِيكُ هُوَ الْمَلِكُ، وَاللهُ جَلَّجَلَالُهُ هُوَ الْمَلِكُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

فَاللهُ مَالِكُ الْمُلْكِ.

وَأَمَّا الْمُلُوكُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَإِنَّ مُلْكَهُمْ عَارِيَةٌ يُؤْتِيهَا اللهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، ثُمَّ

يَنْزِعُهَا مِنْهُمْ، وَيُعْطِيهَا لِلْآخَرِ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّدَاوُلِ، أَمَّا الْمُلْكُ الثَّابِتُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ فَهُوَ مُلْكُ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَحِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقُولُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فَلَا أَحَدَ يُجِيبُ، وَلَا أَحَدَ يَتَكَلَّمُ، فَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ دَعْوَىٰ لَقَالَ: الْمُلْكُ لِي، ثُمَّ يُجِيبُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وَلَا أَحَدَ يُعَارِضُ فِي هَذَا، فَالْمُلْكُ لِلَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا يَهَبُ مَنْ يَشَاءُ شَيْئًا مِنَ الْمُلْكِ مُدَّةً مُحَدَّدَةً، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَمُوتَ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ الْمُلْكُ، وَيُنْزَعَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ.

قَوْلُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ: «**بِذَلِكَ**»: أَيْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

«**دَانَ الْأَتْقِيَاءُ**»: أَي اعْتَقَدَ الْأَتْقِيَاءُ مِنَ الْأَئِمَّةِ هَذَا الْقَوْلَ.

«**وَأَفْصَحُوا**»: أَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ، وَقَالُوا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَمْ يَسْكُتُوا، وَيَقُولُوا هَذِهِ آرَاءٌ، وَلَمْ يَتْرُكُوا النَّاسَ يَقُولُونَ بِحُرِّيَّةِ الرَّأْيِ، وَحُرِّيَّةِ الْكَلِمَةِ، بَلْ أَفْصَحُوا غَايَةَ الْإِفْصَاحِ، وَنَاظَرُوا وَجَادَلُوا وَأَلَّفُوا وَكَتَبُوا فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ؛ لِخُطُورَتِهِ وَشَنَاعَتِهِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَنَقُّصٍ لِلَّهِ ﷻ، فَلَا يَسَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنْ يَسْكُتُوا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، أَوْ أَنْ يَتَسَاهَلُوا فِيهِ.

www.menhag-un.com

صِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَاتِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ

صِفَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَاتِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ.

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِهَا دَائِمًا وَأَبَدًا.

الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهَا الذَّاتُ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ رَبُّنَا مَوْصُوفًا بِهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَالصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَتْبَعُ الْمَشِيئَةَ، فَإِذَا شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَعَلَهَا، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَفْعَلْهَا.

فَصِفَاتُ الْفِعْلِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، كَنُزُولِ رَبِّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَمَجِيئِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

بَعْضُ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَكُونُ ذَاتِيَّةً بِاعْتِبَارٍ، وَتَكُونُ فِعْلِيَّةً بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، فَتَكُونُ الصِّفَةُ ذَاتِيَّةً فِعْلِيَّةً، فَأَمَّا أَصْلُ الصِّفَةِ، فَإِنَّ الذَّاتَ مَوْصُوفَةٌ بِتِلْكَ الصِّفَةِ لَا تَنْفَكُّ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

فَاللهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَةِ الْكَلَامِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْوَحْيِ، أَوْ تَكَلَّمَ بِالْأَمْرِ فَهَذِهِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ، فَتَكُونُ فِعْلِيَّةً؛ لِأَنَّهَا عَلَىٰ حَسَبِ الْمَشِيئَةِ، وَأَمَّا عَلَىٰ

حَسَبِ وَصْفِ الذَّاتِ بِهَا فَهِيَ ذَاتِيَّةٌ، صِفَةُ الْكَلَامِ ذَاتِيَّةٌ بِاعْتِبَارٍ، وَفِعْلِيَّةٌ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، كَلَامُ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدِيمُ النَّوْعِ حَادِثُ الْآحَادِ.

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الْمَلِيكُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَثَبَتَ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥]، وَفِي السُّنَّةِ: «**رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ**».

فَالْمَلِيكُ: بِمَعْنَىٰ الْمَلِكِ وَالْمَالِكِ، وَهُوَ مِنْ صِيَغِ الْمُبَالَغَةِ (فَعِيلٌ)، **قَالَ الْحَلِيمِيُّ**: «وَأَمَّا مُلْكُ الْبَارِي -عَزَّ اسْمُهُ- فَهُوَ الَّذِي لَا يُتَوَهَّمُ مُلْكٌ يُدَانِيهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفُوقَهُ».

وَالْمَلِيكُ: هُوَ الْمَالِكُ، وَبِنَاءُ (فَعِيلٍ) لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْوَصْفِ، وَيَكُونُ الْمَلِيكُ بِمَعْنَىٰ الْمَلِكِ.

«**كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: كَلَامُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا، الْمَلِيكُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ، وَثَبَتَ بِالسُّنَّةِ.

فَالْبَيْتُ مَعْنَاهُ: مِنَ الْإِيمَانِ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مُنَزَّلٌ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَهَذَا مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ بَعْضِهَا.

وَالْقُرْآنُ صِفَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مِنْ صِفَاتِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، لَا يَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الْكَلَامَ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

«**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا**»: تَحْذِيرٌ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ الطَّائِفَةِ الَّتِي تُسَمَّىٰ الْوَاقِفَةَ، وَعَقِيدَةُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ هِيَ قَوْلُهُمْ: «لَا نَقُولُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بَلْ يَجِبُ التَّوَقُّفُ فِيهِ».

وَهَذَا التَّوَقُّفُ الصَّادِرُ مِنْهُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ قِلَّةِ فَهْمِهِمْ، وَعَدَمِ الْعِنَايَةِ مِنْهُمْ بِهَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ بَابُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُمْ قَصَّرُوا، وَهُمْ غَيْرُ مَعْذُورِينَ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ -رَحِمَهُمُ اللهُ- فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ أَقَامُوا الْحُجَجَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَمَا بَقِيَتْ حُجَّةٌ لِأَحَدٍ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا عَلِمْتَ فَإِنَّ الْوَاقِفَةَ مِنْ طَوَائِفِ الْبِدَعِ الْهَالِكَةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: «لَا نَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ وَلَا نَقُولُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»، وَقَدْ ذَمَّهُمُ السَّلَفُ، وَاعْتَبَرُوا قَوْلَهُمْ هَذَا قَوْلًا فَاسِدًا، فَهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ وَلَا شَكَّ.

«**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا**»: تَقُولُ: لَا هُوَ مَخْلُوقٌ وَلَا هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَا أَتَوَقَّفُ فِي هَذَا.

«**كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا**»: الْجَهْمُ: هُوَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ -عَلَيْهِ مِنَ اللهِ مَا يَسْتَحِقُّ-.

«**وَأَسْجَحُوا**»، أَيْ: أَلْقَوْهُ رَقِيقًا. لِلْمُفْرَدَةِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ دَلَّ عَلَيْهَا اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الشَّرِيفُ.

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «**وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ**»: هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ -كَمَا مَرَّ-، وَهُوَ رَدٌّ أَيْضًا عَلَىٰ الْأَشَاعِرَةِ وَالْكُلَّابِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا: كَلَامُ اللهِ مَعْنًىٰ مِنَ الْمَعَانِي، قَائِمٌ بِالنَّفْسِ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا عِبَارَةٌ أَوْ حِكَايَةٌ عَنْ ذَلِكُمُ الْمَعْنَىٰ الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ، وَهَذَا مُعْتَقَدٌ فَاسِدٌ، وَقَوْلٌ بَاطِلٌ تَرُدُّهُ وَتُبَيِّنُ فَسَادَهُ وَبُطْلَانَهُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُ بَعْضِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا كَلَامُ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ -يَعْنِي السَّلَفَ الصَّالِحَ مِنَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ مِنْهُمْ-، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ كَلَامِ اللهِ ﷻ، تَكَلَّمَ بِهِ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا، وَبَلَّغَهُ جِبْرِيلُ مُحَمَّدًا -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَلَامًا، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ أُمَّتَهُ، فَأَخَذَتْهُ الْأَجْيَالُ اللَّاحِقُونَ عَنِ السَّابِقِينَ، فَقَدْ أَخَذَهُ التَّابِعُونَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَخَذَ عَنْهُمْ، وَهَكَذَا يَأْخُذُهُ الْجِيلُ اللَّاحِقُ عَنِ السَّابِقِ، وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِهِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللهُ بِهِ، وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ؛ إِذْ قَالَ -وَقَوْلُهُ الْحَقُّ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

«**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا**»: هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ أَمْرَيْنِ يَتَعَلَّقَانِ بِصِفَةِ الْكَلَامِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكَلَامَ صِفَةُ اللهِ، فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيْسَ كَلَامَ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَىٰ الْمَوْصُوفِ، بِخِلَافِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا: هُوَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَىٰ الْخَالِقِ.

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com